مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

الصين وعالم الجنوب
قيادة واعية في مجال جيوبولتيكي مترابط

د. علي فارس حميد

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2023

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

الصين وعالم الجنوب
قيادة واعية في مجال جيوبولتيكي مترابط

د. علي فارس حميد*

تتسم البيئة الدولية بأنها في غاية الغموض والتوجس، فحركة المتغيرات وما يرافقها من تعقيدات تجعل الدول الكبرى في تحسب مستمر للتوقعات، لأجل أن تكون قادرة على توظيف الفرص والمتغيرات الجديدة التي تتمكن من خلالها مواجهة تهديدات قائمة أو تحقيق مصالح مستحقة. وهذا ما يجعلها تراقب بشكل معمق للأحداث الدولية ومناطق الفراغ وفقاً لاهتمامات جيوبولتيكية تتصل بعقيدتها الاستراتيجية.

تأتي مؤسسات الفكر ومراكز الأبحاث في مقدمة المؤسسات التي تهتم بهذا المجال، فهي تتعامل مع الأحداث والتطورات الدولية وفقاً لمنهجية قياس المخاطر والاستجابة للتهديدات. وهذا ما تعمل عليه معظم الدول الكبرى، باختلاف طرق التعامل معها، كما هو الحال في التعامل مع الصين على سبيل المثال. إذ تسهم مؤسسات الفكر في الصين التي تترابط مع الحزب الشيوعي الصيني والجامعات الصينية في تقديم رؤى وتصورات ذات استرشادات خاصة كالحالة مع المجلس الوطني لتعاون مراكز الأبحاث في بريكس CCBTC والذي يعزز من خلال حواراته المتعددة مع مؤسسات بحثية وخبراء من مختلف دول عالم الجنوب في تقديم خيارات سياسية ناضجة ومدروسة حول كيفية التعامل مع حركة المتغيرات الدولية في عالم الجنوب.

وفقاً لإشكالية هذه الدراسة، فهل تطمح الصين إلى قيادة عالم الجنوب كاستراتيجية بديلة أو تكميلية لقيادة العالم؟ فإن طبيعة التعامل معها من منطق الفرضيات التي تتبناها الصين بحاجة إلى تحليل البنية الاجتماعية التي تستهدفها الصين في استراتيجيتها الأمنية وقياس المدى الذي تحاول أن تعزز فيه أداءها. فتقييم الفرص والتهديدات وفقاً لفرضيات النظرية البنائية يمكن أن يفسر تأثير البنية الاجتماعية للنظام الدولي على طبيعة التفاعلات، وهذا ما يقترب من الطريقة التي تتعامل بها الصين مع عالم الجنوب، والتي سيتم التعامل معها على أنها هدف استراتيجي يمثل سياسة الصين الخارجية.

من الناحية الجيوبولتيكية فإن الصين تتعامل مع ثلاث مناطق: المنطقة الأولى تشمل أفريقيا،

* أستاذ الدراسات الدولية والاستراتيجية/ جامعة النهرين ، باحث رئيسي غير مقيم/ مركز البيان للدراسات والتخطيط.

وهي منطقة ذات أهمية استراتيجية من ناحية الاستثمار والتبادل الاقتصادي. ويمكن أن تقع هذه المنطقة جيوبولتيكياً ضمن منطقة العمل، فهي تُعزز قدرة الصين وتستهدفها من حيث بناء علاقات جادة، قد تنتقل بشكل تدريجي إلى التنمية ودعم المساعدات.

أما المنطقة الثانية فهي منطقة الشرق الأوسط ذات الأهمية الاقتصادية، والتي تعد جزءاً هاماً من طريق الحرير الجديد كما تطلق عليه الصين، أو جزءاً من مجال الصناعات البتروكيماوية عن طريق العلاقات المنتجة مع المملكة العربية السعودية وتحديداً شركة أرامكو.

أما المنطقة الثالثة فقد كانت تشمل آسيا باعتبارها منطقة استهداف جيوبولتيكي، إلا أن ملامح الأداء السياسي تتجه نحو عالم الجنوب، وهذا ما يبرر الأدبيات التي تحاكيها الصين ضمن نظريات تستهدف أنموذج التنمية ومجال الحركة في منطقة العمق الاستراتيجي، الذي تراه الصين أقرب إليها بعد تأمل دقيق في البنية الاجتماعية للنظام الدولي. وهذه المنطقة تقع ضمن هدف القيادة، وهذا المستوى يبين عملية الانتقال في فرضيات الأداء الاستراتيجي، والتي ستحدد عملية بناء الفرضيات في تصميم استراتيجية الصين على مستوى ادارة الشؤون الخارجية.

بناء الفرضيات: تعزيز القوة الناعمة الصينية

تعتمد الصين في بناء الفرضيات التي تتصل بسياستها الخارجية على مجموعة من القواعد التي تتصل بتقييمها لذاتها كقوة في المقام الأول، ومن ثم تحديد مدى القوة الذي يتناسب مع طبيعة الأهداف الصينية في الخارج. فمن الناحية الاستراتيجية، انتقلت الصين من آسيا إلى عالم الجنوب.

ولعل هذا الانتقال ينسجم مع مقدار القوة الذي حددته الصين في فرضيات الأداء في الخارج، رغم أنه لا يعبر بشكل مطلق عن المنطقة الجغرافية بقدر ما كونه يعبر عنها جيوبولتيكياً.

فالمنطق الذي يحكم الذهنية الصينية لا يقوم على أساس من يكون في طريق الحرير بقدر حاجة الدول الى هذا الطريق لتحقيق التنمية، ومن ثم فإن استهداف عالم الجنوب لا يعني مطلقاً شمول دوله برمتها، بقدر وجودها ضمن هذا السياق. الأمر نفسه الذي يفسر العلاقات الاستراتيجية مع المملكة العربية السعودية أو الإمارات العربية المتحدة، رغم وجود علاقات استراتيجية مع الولايات المتحدة الأمريكية.

تتطلب عملية التحليل التعامل مع مؤشرات بناء الفرضيات كأساس لهذا النوع من التحليل، إذ أن الصين عملت خلال السنوات السابقة على بناء قوة اقتصادية ذات تأثير مختلف في العالم، فهي لم تكتفي ببناء ذاتها والاكتفاء ذاتياً. وإنما استطاعت أن تنتقل إلى التفوق عن طريق تلبية احتياجات القوى والشركات العالمية، إلى الخدمات التي يمكن أن تقدمها الصين، فشركات الزجاج والسيراميك والبتروكيماويات في الصين تعد من الشركات التي تعتمد عليها أهم الماركات العالمية في صناعاتها، وهذه ما يمنح الصين قوة مضاعفة من حيث التأثير على هذه الشركات بوصفها لاعباً رئيسياً أو ثانوياً في العالم.

إلى جانب ذلك، فإن نظرية الحداثة التي انتهجتها الصين ساعدت على أن يكون هنالك تواصل ثقافي مثمر لأنه قائم على أساس استراتيجيات مركزية ومدروسة من قبل الصين.

وفقاً لمعيار المصالح الحيوية للدولة، يُعد نشر القيم من المصالح الحيوية الرئيسة بالنسبة للدول الكبرى إذا ما أرادت المحافظة على وجودها في النظام.

وهي بحسب **تيري ديبل**، أستاذ الدراسات الاستراتيجية في الولايات المتحدة الأمريكية، تعد غاية كبرى لا يمكن بأي شكل من الأشكال التنازل عنها أو تجاهل قيمتها، ومن هنا حرصت الصين على أن تكون القيم جزءاً من استراتيجيتها حيال دول عالم الجنوب، والتي يمكن أن توفر مقداراً من الثقة الضروري للقيادة. إن ترسيخ الصين للحداثة في الداخل، بعد خطط التنمية التي أقرتها خلال سنوات تحديث الاقتصاد الصيني، جعلت الصين لاعباً اقتصادياً مؤثراً في التبادلات التجارية العالمية. ولم تكتف الصين بذلك، بل استطاعت ايضاً التأثير على سياسة الشركات التجارية بحكم المزايا التنافسية التي تطرحها في مجالات عديدة، وهذا ما جعل التأثير الناعم للحداثة الصينية يتمدد في عالم الجنوب، بحكم طبيعة الاعتزاز بالثقة والموروث الحضاري الذي يمنح الصين قبولاً مضاعفاً في قيادة عالم الجنوب.

لماذا القيادة في عالم الجنوب؟

قد لا يكون من السهل التفكير في المجال الجيوبولتيكي الذي تفرض الدولة فيه مكانتها كقوة دولية طموحة إلى القيادة من دون قياس قابلية المجال الحيوي للاستجابة إلى القيم التي يمكن نشرها في تلك المنطقة عبر تأثير جاذبية القوة الناعمة. وفي هذا المجال فإن الدول ذات الإمكانيات التقنية

العالية تميل في اللجوء إلى المحاكاة لغرض قياس واختبار الفرضيات الخاصة بهذا المجال.

من الناحية الجيوبولتيكية، فإن فرضيات الهيمنة على العالم لم تعد ممكنة في ظل تحولات النظام الدولي وحركة المصالح بين القوى الرئيسة داخل النظام. الأمر الذي شجع المختصين في دراسة الاستراتيجيات الدولية، ومن بينهم جون ميرشايمر، إلى التفكير بالهيمنة الإقليمية بوصفها أحد المداخل التي يمكن عن طريقها فرض الهيمنة بعد نقاشات طويلة قائمة على أساس جدوى قيادة النظام كبديل عن السيطرة. ومن هذا المنطلق جاءت معظم الافتراضات النظرية لتتعامل مع الوظيفة كأساس لتحليل حركة القوى الدولية ومصالحها الحيوية في العالم.

تفكر الصين بطريقة جدية في اعتبارات النظام الدولي، فضلاً عن أنها تدرك أن القوى الأخرى لديها مصالح عميقة داخل النظام من الصعب تجاوزها أو بعثرتها دون مواجهة، فالمواجهة التي تفرضها المصلحة تمثل حرباً ضرورية بالنسبة للقوى الأخرى. التي تتشارك معها الصين عمليات التفاعل داخل النظام، ومن هنا أخذت الصين على عاتقها التعامل مع الدول الأخرى وفقاً لمعطيات اقتصادية، دون تأجيج هواجس الدول الأمنية أو العسكرية. فالعلاقات التي كونتها الصين داخل أفريقيا كانت ضمن التبادلات التجارية والمدلولات الأخرى التي تتصل بالاقتصاد، وكذلك الحال في منطقة الشرق الأوسط. باستثناء ما يتعلق بمنطقة بحر الصين الجنوبي، التي فرضت لنفسها اعتبارات جيوبولتيكية قائمة على أساس فرض القوة بحكم الجوار الجغرافي ومنطق فراغ القوة الذي يسمح للصين إتباع سياسات مختلفة تجاه المنطقة.

تُشكل مناطق عالم الجنوب حلقة جغرافية ذات تقارب من حيث المشاكل الاقتصادية والقيم السياسية والاجتماعية في بعض الأحيان. ففي عالم الجنوب هنالك توصيف للفروقات مع عالم الشمال وقيم متشابهة بشأن استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية والقوى الأوروبية.

فمن بين أهم ما يمكن فهمه في هذا المجال أن الصين لازالت تعامل نفسها على أنها من دول عالم الجنوب وهذا ما يمنحها فارقاً بالمقارنة مع الولايات المتحدة الأمريكية التي تنظر إلى دول عالم الجنوب بتوصيف يمزج ما بين العداء والتخلف. وقد تعززت هذا الرؤية الصينية بعد نظرية التحديث التي تحاول الصين اعتمادها ضمن سياستها الخارجية.

تتجه حوارات الصين مع عالم الجنوب على تركيز دورها من نواحي عدة، فعلى المستوى السياسي، تحاول الصين أن تكون طرفاً في الحوارات التي تتصل بالصراعات السياسية والأزمات الأمنية، كالحالة مع الجمهورية الايرانية والمملكة العربية السعودية. فالمصالح التي تجمعها بكلا الدولتين تمنحها فرصاً مضاعفة للتأثير في مسارات قضايا الخلاف بينهما. أما في الجانب الاقتصادي، فإن طريق الحرير وما تبعه من تحديث في المشروع في المرحلة الثانية والذي أصبح يعرف بمبادرة الحزام والطريق ستمنح الصين قوة مضاعفة من حيث تأثيرها الاقتصادي في مناطق عالم الجنوب، خاصةً بعد أن ربطت أكثر من مشروع بحري في هذا الجانب مما سيجعل الصين تتواجد في معظم مناطق التأثير في العالم.

إلى جانب ذلك، فإن الصين تُعبر عن ذاتها بمظاهر مختلفة عن عالم الشمال، رغم صعوبة تقييم جاذبية تأثيرها في عالم الجنوب التي ماتزال في مرحلة العمل، فمن ناحية الاعلام ووسائل الاتصال فإن الصين تمتلك برامج تواصل مختلفة عن بقية دول العالم كالحالة مع We chat فضلاً عن البرامج الأخرى البديلة عن يوتيوب وتويتر وفيس بوك، أما في مجال التعليم، فقد تمكنت الصين من تعزيز تصنيف شنغهاي للجامعات والذي يعد اليوم واحد من أهم التصنيفات في العالم ويحضى بثقة كبيرة قد تتجاوز عالم الجنوب، إذ يشمل الجامعات الكبرى في العالم وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة.

فضلاً عن أن المجلس الصيني لحوار مراكز الفكر يؤدي دبلوماسية شعبية ذات نطاق مؤثر على المؤسسات النخبوية في عالم الجنوب لا يقل تأثيره عن برامج الدبلوماسية الشعبية الأمريكية من حيث مقارنة الغايات.

خلال السنوات التي تلت عام 2020، بدأت الصين التفكير بجدية بمشروع قيادة عالم الجنوب، لكنها اتبعت معايير جديدة قائمة على أساس الانجذاب لسياسات التحديث التي عملت عليها الصين. فتطبيقات المحاكاة ومعايير الانتقال في تحديث البنية الاجتماعية والسياسية في الصين بدأت تتطور عن المراحل المحددة في استراتيجيتها. وهذا ما يعني أن الفرضيات تفوق الصين في المزاحمة الاستراتيجية لقيادة العالم ستكون قريبة من التوقعات التي طُرحت من قبل الخبراء، كالحالة مع جون ميرشايمر الذي توقع أن الصين ستتحول إلى قوة عظمى في عام 2030، ولكن هذه المرة، لن تكون في آسيا أو الباسفيك بل في عالم الجنوب، وذلك نظراً لاعتبارات تتصل بفراغ القوة الذي تمكنت الصين من توظيف معطياته في هذا المجال.

وبالتالي، فإن الصين لم تعتمد على جاذبيتها الاقتصادية فقط للعمل في عالم الجنوب، بل اتجهت إلى تحقيق معايير جديدة تنطبق عليها سمات الدولة القائد، ففي مجال التعليم والإعلام والاتصالات حققت الصين معايير خاصة توازي بها عالم الشمال، وهذا ما يجعلها مرشحة لقيادة عالم الجنوب باعتباره المنطقة التي تستهدفها في استراتيجيتها.